الشّعر الجزائري السّيّاسي والنّضالي بين الفصحة واللّهجة –قراءة في نماذج مختارة–

Algerian political and militant poetry between classical and dialect - reading in selected models -.

***د. خويلد عبد العزيز**

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة وهران،(الجزائر)، khaziz1988@gmail.com

أ. د سي كبير تجاني أحمد

جامعة قاصدي مرباح ورقلة، (الجزائر)، ahmedtidjanisikebir@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/11/26 تاريخ القبول: 2023/03/19 تاريخ النشر: 2023/12/17

ملخص: إنّ النّصّ الشّعري الجزائري سواء كان باللغة الفصحى أو اللّهجة، كلاهما يؤدّيان رسالة الشّاعر في الحياة، فكانا خير وسيلة يعبّر بها الشّاعر الجزائري عمّا يجول في خاطره إزّاء معظم ما يخص مقاومتنا الوطنيّة، فكان لهما أثر ووقع عظيمين في نفس المتلقّي على مرّ الأجيال.

تهدف الدّراسة الحاليّة المعنونة بـ: الشّعر الجزائري السّيّاسي والنّضالي بين الفصحة واللّهجة، إلى تقصّي مدى مساهمة الشّعر الجزائري الفصيح وغير الفصيح في ايصال مراد المتكلّم للمتلقّي، ومن أجل تحقيق هذا الهدف قام الباحث بتحليل قصيدتين من شعر المقاومة والأخرى باللّهجة العاميّة، واتّبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي كونه يتماشى وأهداف البحث.

ودلّت نتائج البحث على شدّة الصّلة بين اللّغتين، ونقف على ذلك عندما نجد في اللّهجة عند الاستعمال بعض التّعابير والصّيغ، متجذّرة في لغتنا العربيّة ولكنّها غابت عن الاستعمال في لغتنا الفصحى، ومن ثمّ صحّ اعتبار اللّهجة في مستويات مختلفة عبارة عن فصحى محرّفة، وهذا اللّحن يظهر في مستويات عديدة خاصّة التركيبيّة والصوتيّة.

كلمات مفتاحية: اللغة، النص، الفصحة، اللّهجة، الابدال، الحذف.

Abstract:

The Algerian poetic text, whether in the formal language or the dialect, both of them perform the poet's message in life, so they were the best way for the Algerian poet to express what is in his mind about most of what is related to our national resistance, and they had a great impact on the recipient.

The current one is entitled...: Algerian political and militant poetry between eloquence and dialect, to investigate the contribution of eloquent and non-eloquent Algerian poetry in conveying the meaning of the speaker to the recipient, in order to achieve this goal, the researcher analyzed two poems of the resistance poetry... the first in classical language and the other in the colloquial dialect.

We find in the dialect some expressions and formulas, which are rooted in our Arabic language, but they are absent from use in our classical language, and then the dialect can be considered at different levels as a classical distortion, and this melody appears on many levels, especially the structural and phonetic.

Keywords*:* Language; Text; Classical Arabic; Dialect; Substitution; Deletion**.**

***المؤلف المرسل**: خويلد عبد العزيز ، **الإيميل**: khaziz1988@gmail.com

1. مقدمة:

إنّ أوّل ما يمكن ملاحظته في أيّ دراسة تعلّقت المسألة فيها بين الفصحة واللّهجة هو شدّة الصّلة بينهما _ بين اللّهجة والفصحى_ إلى درجة في بعض الأحيان عندما نقف عند اللّهجة _في الاستعمال_ "على بعض التّعابير والصّيغ الفصيحة نجدها متجذّرة في لغتنا العربيّة والتي غابت عن الاستعمال طوعا أو كرها عن لغتنا الفصحى، ومن ثمّ صحّ اعتبار اللّهجة وفي كثير من مفرداتها عبارة عن فصحى محرّفة، وهذا التّحريف موزّع على مستويات عدّة أهمّها: (القواعد، البنيات، والحركات، والحروف)"[1]، وهذا ما سيقف عليه الباحث بالدراسة والتحليل في هذا البحث المعنون بـ الشّعر الجزائري السّيّاسي والنّضالي بين الفصحة واللّهجة –قراءة في نماذج مختارة–.

وعليه سأتناول في هذا البحث _إن شاء الله_ تحليلاً موازنا لقصيدة سياسيّة نضاليّة من جهة استعمال الفصحى بعنوان (شعب الجزائر مسلم) للشّيخ عبد الحميد بن باديس، مع مجموعة أبيات من شعر المقاومة ذكرت بلغة غير الفصحة وفي نفس الزّمن، محاولا الإجابة عن إشكالية هي على النّحو الآتي: ما مدى مساهمة الشّعر الجزائري الفصيح وغير الفصيح في إيصال مراد المتكلّم للمستقبل حتى يكون لهما أثر ووقع في نفس المتلقّي؟

قبل الشّروع في تحليل مدونة موضوع البحث، لابد من وصف شامل للبيئة التي عاصرها ابن باديس*، حتى نتمكّن من تحديد بعض الملابسات التي أحاطت بحياته وأثّرت فيه وكذا ظروف نظم قصيدته (شعب الجزائر مسلم)، وأيضا معرفة الفئات والتيّارات –فضلا عن المستدمر الفرنسي –التي استهدفها بخطابه الفصيح.

2. منهج ابن باديس

1.2 الحياة السياسية:

إنّ المتتبّع لسياسة المستدمر الفرنسي على الشّعب الجزائري من أجل القضاء عليه وتدميره جذرياً، يجدها تمثّلت في ثلاثة إجراءات كادت أن تؤدّي مفعولها في الشّعب الجزائري كما خطّط لها، فكانت سياسة المستدمر ممثّلةً في[2]:

- تنصير الشّعب الجزائري.
- الفرنسة والإدماج.
- إبعاد الجزائريين عن الوظائف الإدارية.

وكان للشّيخ عبد الحميد ابن باديس موقف تجاه هذه السّياسة، فاتَّخَذَ لنفسه في مَطْلَعِ نشاطه الإصلاحي ضوابطا وأهدافا ومبادئا كانت رائدةً نشاطِ فِكْرِهِ النِّضالي السّياسي، ممثّلةً في ثلاثِ كلمات هي: الدّين والعروبة والوطن، والتي صَبَغَتْ مُعظَمَ نَشاطِهِ الإصلاحي.

2.2 الحياة الفكريّة والثّقافية:

لقد تميّزت الحياة الفّكريّة والثّقافيّة التي عاصرها عبد الحميد بن باديس بمجموعة من المميّزات نذكرها على النّحو الآتي[3]:

– التّعليم: فبعد احتلال فرنسا للجزائر تغيّرت أوضاع التّعليم في الجزائر إلى التّدنّي والسّقوط بسبب السّياسة الفرنسيّة المتّبعة، حيث اقتنع المثقّفون بأنّ الجزائر ستعود إلى الخلف إذا لم يعمل شيئًا في هذا الموضوع[4]، ومسّ هذا التّدهور ثلاثة عناصر[5]:

– اللّغة العربيّة.

– الدّين الإسلامي.

– مصير المثقّفين.

وكانت حياة الشّيخ مليئة بالإفعام والحيويّة والنّشاط في ميدان التّعليم، فلم يكتفِ بتعليم الكبار فقط، بل والنّاشئة الصّغار حتّى لم يبقَ له من الشّغل سواه.

– الأوقاف الإسلاميّة: حيث كانت الجزائر في فترة قبل الاستعمار الفرنسي ملآ بالمساجد والزوايا والمكاتب الدينيّة، فإن دلّ هذا على شيء فإنّما يدلُّ على أنّ الحياة الفكريّة والثّقافيّة كانت مزدهرةً فيها، وعلى وجود نسبة معتبرة من المتعلّمين كلُّهم يعرفون القراءة والكتابة، فلم تجد فرنسا للقضاء على هذه المعالم الإسلاميّة الأساسيّة إلا أن صبّت جمّ غضبها عليها بشدّة، فأخذت تهدمها وتحوّلُها إلى كنائس وإصطبلاّت، بُغية فرض سيطرتها ونشر براثينها في الأراضي الجزائريّة، "فالمساجد والكتاتيب والزوايا في تلك الفترة لم تكن قاصرة على أداء الشّعائر التّعبّديّة فحسب، بل كانت أيضا إضافةً إلى ذلك محاضن للتّربية والتّعليم وإعداد الرّجال الصالحين المصلحين"[6].

– الصّحافة: لم تعرف الجزائر الصّحافة إلاّ بعد دخول فرنسا، وبسبب الوعي الذي دبّ في نفوس المخلصين، أدّى بهم إلى إصدار المجلاّت والجرائد التي تحمل البعد الوطني، لتكريس الثّقافة العربيّة الإسلاميّة في أوساط المجتمع الجزائري، وبالتّالي الحفاظ على هويّته المرتبطة بتعاليم دينه الإسلامي، الذي أراد الاحتلال الفرنسي القضاء عليه منذ أوّل يومٍ وطئت أقدامه أرض الجزائر الطّاهرة[7].

– الفكر الصّوفي: إنّ الدّور الإيجابي الذي لعبته بعض الطّرق الصّوفية، قابله في الجهة الأخرى أنّ بعضا منها صار أُلعوبة في يد الاحتلال، يسخّرها لخدمة أهدافه في الجزائر من خلال تخدير الجزائريين، بنشر التّواكل والكسل بينهم وتثبيط همّتهم عن بذل الجهد من أجل استقلال الجزائر، وطرد المحتل الغاصب منها، بدعوى أنّ وجود الاحتلال في الجزائر هو من باب القضاء والقدر ينبغي التّسليم به والصّبر عليه[8].

3.2 الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة: لقد قطع المستدمر الفرنسي على نفسه وعوداً تستهوي إليها النّفس، منذ أن وطئت أقدامه على الأراضي الجزائرية، ولكن سرعان ما نقضها لتنفيذ سياسته ومشروعه الاستيطاني الصّليبي، وتمثّلت هذه السّياسة في[9]:

– اتّباع سياسة "فرق تسد".

– مصادرة أملاك المواطنين.

– سياسة التفقير.

– تمكين اليهود.

– زرع الأفكار الغربية عن المجتمع وقيّمه.

3. تحليل قصيدة شعب الجزائر مسلم:

من خلال ما سبق يتبيّن لنا أنّ أيّ بلد آخر في الشّرق أو في الغرب، لم يعرف ما عرفته الجزائر من أساليب الصليبية الحاقدة، فقد امتدت هذه الأساليب إلى تفتيت التّماسك العنصري والعائلي، وامتدت إلى تحطيم الأخلاق وتخليط الأنساب،

وامتدت إلى إزالة الصّبغة العربيّة والدّينيّة، وتمّ هذا في غفلة من العالم الإسلامي والأمّة العربيّة في القرن التّاسع عشر الميلادي، وكانت الجزائر وحدها في الميدان فلم يكن بجوارها أحد[10].

في اليوم " السّابع من شهر جوان (يونيو) 1936م، انعقد في مدينة الجزائر المؤتمر الإسلامي الجزائري الذي كان أوّل تجمع من نوعه في البلاد، وقد انتهى بمطالب رفعها وفد – من بينهم ابن باديس – عن المؤتمر إلى حكومة الجبهة الشّعبيّة بباريس"[11]، في الثّامن عشر من شهر جويلية (يوليو) 1936م فلقيّهم "دلاديه"، وقصّة هذا اللقاء مشهورة، ثمَّ أقفل الوفد خائب الرّجاء، لكن ابن باديس كان أكثر أملاً وتفاؤلاً؛ فقد أدرك أنّه نجح في كشف النّقاب عن الاتّفاق التّام بين سياسة الحكومة الفرنسيّة في باريس وسياسة المعمّرين في الجزائر، وأنّه برهن بما فيه الكفاية على عروبة الجزائر وإسلامها، ويُقال إنّه أنشد قصيدتَه المشهورة المعنونة بـ **شعب الجزائر مسلم** بعد عودته من باريس[12]، التي منها:

1- شَعْبُ الجَزَائِرِ مُسْلِمٌ وَإِلَى العُرُوبَةِ يَنْتَسِبْ
2- مَنْ قَالَ حَادَ عَنْ أَصْلِهِ أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذَبْ
3- أَوْ رَامَ إِدْمَاجاً لَهُ رَامَ المحَالَ مِنَ الطَّلَبْ
4- يَانَشْءُ أَنْتَ رَجَاؤُنَا وَبِكَ الصَّبَاحُ قَدِ اقْتَرَبْ
5- خُذْ لِلْحَيَاةِ سِلَاحَهَا وَخُضِ الخُطُوبَ وَلَا تَهَبْ
6- وَارْفَعْ مَنَارَ العَدْلِ وَالإِ حْسَانِ وَاصْدُمْ مَنْ غَضَبْ
7- يَا قَوْمُ هَذَا نَشْؤُكُمْ وَإِلَى المِعَالِي قَدْ وَثَبْ
8- كُونُوا لَهُ يَكُنْ لَكُمْ وَإِلَى الأَمَامِ ابْناً وَأَبْ
9- وَأَذِقْ نُفُوسَ الظَّالِمِينَ السُمَّ يُمْزَجُ بِالرَّهَبْ
10- وَاخْلَعْ جُذُورَ الخَائِنِينَ فَمِنْهُمْ كُلَّ العَطَبْ
11- وَاهْزُزْ نُفُوسَ الجَامِدِينَ فَرُبَّمَا حَيَّ الخَشَبْ
12- نَحْنُ الأُلَى[13] عَرَفَ الزَّمَانَ قَدِيمَنَا الجَمَّ الحَسَبْ
13- ومَعِينُ ذَاكَ المجْدِ فِي نَسْلِ العُرُوبَةِ مَا نَضَبْ
14- مَنْ كَانَ يَبْغِي وُدَّنَا فَعَلَى الكَرَامَةِ وَالرَّحَبْ
15- أَوْ كَانَ يَبْغِي ذُلَّنَا فَلَهُ المهَانَةَ وَالحَرَبْ
16- هَذَا نِظَامُ حَيَاتِنَا بِالنُّورِ خُطَّ وَباللَّهَبْ
17- حَتَّى يَعُودَ لِشَعْبِنَا مَنْ مَجْدُهُ مَا قَدْ ذَهَبْ
18- هَذَا لَكُمْ عَهْدِي بِهِ حَتَّى أُوَسَّدَ فِي التُّرَبْ
19- فَإِذَا هَلَكْتُ فَصَيْحَتِي تَحْيَا الجَزَائِرُ وَالعَرَبْ

اختلفت المصادرُ في عدَدِ أبياتِ بائيةِ ابنِ باديس المعَنْوَنَةِ بـ "شَعْبُ الجَزائِرِ مُسْلِمٌ" من خمسَةَ عشرَ بيتًا إلى تسعةَ عشر بيتا وإلى خمسةٍ وثلاثين بيتًا إلى خمسين بيتًا، منسوجةً على منوال البحر الكامل المجزوءِ المناسبِ لغرض القصيدة، المتمثِّلِ في الفخر

والاعتزاز بالوطن والدّين والانتماء الحضاري العربي والتّوجيه والإرشاد والحثّ على النّهوضِ، للقيّام بالواجب مع رسم خِطَّةٍ لتنفيذ هذا الغرض، وتُعتبرُ القصيدة بصفةٍ عامّة من الشّعر النّضالي السّياسي، وقد جاءت في أسلوبٍ فصيحٍ وخطابٍ بليغٍ خالٍ من الغرابة وتنافر الحروف، فكلماتها وموضوعاتها منسجمةً متدرّجة يكادُ يكونُ أسلوبُها المتينُ السلسُ مُعَبِّرًا عن صدق القائل وعاطفته الجيّاشةِ، وبهذا تكادُ تكون ممّا يُقالُ فيه السّهلُ الممتنعُ.

وعليه فإنّ أهمّ الأفكارِ والمعاني التي تضمَّنَتها القصيدة هي أنّ الشّاعر اتَّخَذَ لنفسه في مَطْلَعِ نشاطه الإصلاحي ضوابطا وأهدافا ومبادئا، تكونُ رائدةَ نشاطِ فِكْرِهِ النِّضالي لَخَّصَها في ثلاثِ جُمَلٍ هي: الإسلامُ ديني والعربيّةُ لغتي والجزائرُ وطني، وهذه الجملِ الثلاث صَبَغَتْ مُعظَمَ نَشاطِهِ، ومن ذلك قصيدَتُهُ المشهورَة التي اسْتَهَلَّها في البيت الأوّل بتقريرِ وتحديدِ هُوِيَّةِ الشَعبِ الجزائري، كما يراها مُمَثَّلةً في الجزائر مَوْطِنًا والإسلامِ دِيناً والعُروبَةِ حضارةً وانتماءً، ويُؤَكِّدُ هذا بتَصَدِّيهِ في البيت الثّاني والثّالث، لِمَنْ زَعَمَ فَنَاءَ الشّعب الجزائر أو عُدُولِهِ عن أصله، باندماجه في الشّعب الفرنسي، بأنّ هذا كَذِبٌ وافتراءٌ ومن مُحالِ الطلب.

وفي البيت الرّابع والخّامس والسّادس يُنادي صاحبُ القصيدةِ الشّبابَ الجزائريَ باعتباره الشّريحةَ الاكثرَ اقتدارًا وقوّةً على مواجهةِ العدوّ، ويعلِّقُ عليه الرّجاءَ لاقترابِ ساعةِ الفرجِ والانتصارِ، ويُوَجِّهُهُ لِحَمْلِ السِّلَاحِ المادِي والمعنوي، المتمَثِّلِ في تَعَلُّمِ العِلْمِ والتَّخَلُّقِ بالأخلاق الفاضلةِ، كالشّجاعة وعدمِ التخاذُلِ والخَوْفِ من العَدُوِّ ورَفعِ رايةِ العدلِ والإحسانِ، والقضاءِ على المسْتَعْمِرِ الغاصِبِ لِأراضِيه.

ثُمَّ يلتَفِتُ في البَيتَينِ السَّابِعِ والثَّامِنِ إلى عُمُومِ الجَزَائِرِيينَ مُشيراً إلى ضرورةِ تَأْهيلِ الشَّبَابِ العَازِمِ على الارتِقاءِ إلى المعَالِي، ويُناشِدُهُم بِمُسَانَدَةِ الأَجْيالِ الصَّاعِدَة، ويَأْخُذُوا بأَيدِيهِم حتّى يَعُمَّ نَفَعُ هذا التآزُرِ الآباءَ والأبناءَ وكلَّ المواطنينَ.

وفي بقيّة أبيات القصيدة يَرسُمُ عبدُ الحميد بنُ باديس خِطّةً يُبَيِّنُ فيها الأُسُسَ، ويَرْسُمُ فيها السُّبُلَ، التي ينبغي أن يَتّبِعَها هو ومن مَعَهُ أو مَنْ يَأْتي بعده، لتحقيق الهدفِ الأسمى وهو تحريرُ الجزائر من براثن الاستعمارِ، ويتمثَّلُ ذلك في:

– تضييق الخناق على الظّالمين وملاحقتهم بكلِّ شدَّة.

– القضاءُ على الخَوَنَةِ المساندين للأعداء، حيث يقول: "... نعم نهضتنا نهضة بنينا أركانها على الدّين، فكانت سلاماً على البشريّة لا يخشاها، والله، النّصرانيّ لنصرانيّته، ولا اليهوديّ ليهوديّته، بل ولا المجوسيّ لمجوسيّته، ولكن يجب، والله، أن يخشاها الظّالم لظلمه، والدجّال لدجله والخّائن لخيّانته"[14].

– شَحْذُ هِمَمِ الجامدين الخاضعين عسى أن يستفيقوا من سباتهم العميق.

– كما يشيرُ إلى تاريخ الأمَّة الحافل بجلائلِ الأعمال والأخلاق المستَمِدَّةِ من مَعينٍ لا يَنضَب، ألا وهو الكتاب والسنّة.

– ويبيِّن أسسَ التّعاملِ مع غير الجزائريين، التي ينبغي أن تكون معاملةَ الندّ للندّ والمثلِ بالمثلِ، كنظام ثابتٍ لا يُحادُ عنه حتّى يتحقّقَ النّصرُ والكرامة للجزائريين.

ويعتبر ابن باديس الخطةَّ المشارَ إليها آنفا، عهدا عليه وعلى من معه حتَّى ولو هلكَ، فهذه الصّرخةُ تحقّقُ النّجاح للجزائريين بعدَهُ، والذي صرَّح هذا بقوله: "إنّ العروبة والإسلام والعلم والفضيلة هذه أركان نهضتنا، وأركان جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، التي هي مبعثُ حياتنا، ورمز نهضتنا"[15].

تُعتَبَرُ القصيدةُ من الشِّعرِ السّياسي النّضالي ذاتُ عاطفةٍ وَهَّاجةٍ صادقةٍ متأجِجَة، تُعَبِّرُ بِصِدقٍ عن أهدافِ ومبادئِ قائلِها، في أسلوبٍ سلسٍ وألفاظٍ سهلةٍ ذاتُ قَرْعٍ ووَقْعٍ عَظِيمَيْنِ، منسوجةٍ على منوالِ بحرٍ مناسبٍ للغرضِ منها، وهو البحرُ الكاملُ المجزُوء في مُعظَمِ أبياتِ القصيدة، وتفعيلاتُه الكاملةُ هي:

مُتَفَاعِلنْ مُتَفَاعِلنْ مُتَفاعِلُ *** مُتَفَاعِلنْ مُتَفَاعِلنْ مُتَفَاعِلُ

وصُورَتُهُ المجزوءةُ كمايلي:

مُتْفَاعِلنْ مُتَفَاعِلنْ *** مُتَفَاعِلنْ مُتَفَاعِلنْ

ولما دَخَلَهُ زحافُ الإضمارِ الذي هو تسكينُ ثانيَ السّبَبِ صارَ على الصّورةِ الآتية:

مُسْتَفْعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ *** مُسْتَفْعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ

4. أثر فصحة القصيدة في المتلقي:

وبعد إلقاء نظرةٍ على القصيدة نَجِدُ صاحبَها يستعملُ الأسلوبَ المناسبَ للمعنى المقصود، ففي البيت الأُوّل والثّاني والثّالث، التي يحدّدُ فيها عبد الحميد بن باديس، هُوِّيَةَ الشّعبِ الجَزائري بلغة فصيحة يفهمها العامّ والخاصّ، يستخدمُ فيها الأسلوبَ الخبريَ والجمل الإسمية التي يُعبَّرُ بها عن الأشياء الراسخة الثابتة، التي لا تقبل التغيير، ناهيك عن القصر والحصر المتمثّل في قصر الخبر على المبتدأ وحصر المبتدأ في الخبر (شعبُ الجزائرِ مسلمٌ)، كما عبّرَ بالجمل الفعلية ذاتِ الفعل الماضي القاضي بوقوع الحدث وانقطاعه، وهو يعني بذلك التّأكيدَ على المقصودِ من البيت (قال، حاد، مات، كذبَ)، وحتّى يُقنِعَ المخاطبَ المتردّدَ، أتى بقد التي تفيد التّحقيق وهي من أساليب الخبر الطلبي أي المؤكّد بأداةٍ واحدة (قد).

كما استعملَ في البيت الرّابع والسّابعِ والعاشرِ والثّانيَ عشرَ والثّالثَ عشرَ والخّامس عشرَ والسّادس عشرَ والثّامنَ عشرَ، تعابيرَ خبرية نعرض أهمّها على التّرتيب:

– **أنت رجاؤنا** (مبتدأ وخبر) خبر طلبيّ.

– **وبك الصّباح قد اقترب** بتقديم الجار والمجرور (بك) التي تفيد التّخصيص، وباستعمال (قد) المفيدة للتّحقيق وفق أسلوب الخبر الطلبيّ.

– **هذا نشؤكم** (مبتدأ وخبر) خبر طلبيّ.

– **وإلى المعالي قد وثب** بنفس العلّة السّابقة والمتعلّقة بقد، خبر طلبيّ.

– **فمنهمُ كلُّ العطب** بتقديم الخبر على المبتدأ، خبر ابتدائيّ.

– **نحن الأُلى عرف الزّمانُ** (مبتدأ وخبر) خبر ابتدائيّ.

– **فله المهانة والحرب** بتقديم الخبرِ على المبتدأ، خبر ابتدائيّ.

– **هذا نظام حياتنا** (مبتدأ وخبر) خبر طلبيّ.

– **هذا لكم عهدي به** تقديم الخبر على المبتدأ، خبر طلبيّ.

ففي الجمل ذات المبتدأ والخبر وعددها أربعُ جملٍ، كان أسلوبُ القصر والحصر هو الغالب عليها، كما أنّ الجمل التي قُدِّمَ فيها الخبر على المبتدأ وعددها خمسُ جُمَلٍ فإنّها تعني تقرير أهمية الخبر.

وما يُلاحظ في أسلوب عبد الحميدِ بن باديسِ في قصيدته، أنّه مزج بين أنواع الأساليب الخبريّة الثّلاثة بنسب متقاربة، ويلاحظ أيضا اعتماده بشكلٍ أكبرٍ على أسلوب الخبر الابتدائيّ، والأسلوبان الطلبيّ والإنكاريّ بدرجةٍ أقل، وذلك لموضوعيةِ كلامِهِ التي جعلتهُ مُتقَبّلاً من كُلِّ سامعٍ عاقلٍ يفهمُها ويلحظُها من سيّاق الكلام[16]، ولِعِلمِ عبد الحميد بن باديس بأحوال ونفسيّة المخاطَبينَ في تلك الفترة، ومدى استعدادهم لتلقي الخبرِ وقَبُولِهِ أو رفضه، وهذا ما يُعَبَّرُ به ببلاغة الكلام التي هي مطابقته لِما يقتضيه حالُ الخطاب مع فصاحة ألفاظه، فلكلّ مقامٍ مقال ولكلٍّ حالٍ رجال.

5. مواطن اللّهجة في الشعر الجزائري وأثرها في المتلقي:

أمّا عن النصّ الشّعري الشّعبي الجزائري، أو ما يعرف باللّهجة، فإنّه قد وقع نظرنا على مجموعة من الأبيات، لها نفس مذهب ابن باديس، ولها صلة وثيقة بأحداث معركة كبرى؛ معركة أوّل نوفمبر 1954م، حيث كان الشّعر الشّعبي الجزائري آنذاك، محطّ أنظار السّاحة الأدبيّة والمغاربيّة بالعموم، الذي نبع عن نفس وفيّة لوطنها، أبيّة ومستنكرة ومقاومة لما يحدث حولها، وعبّر هذا الجوّ تأتي "الكلمة المقاومة نابضة بحرارة صاحبها، متشبّثة بدم باعثها من عمق الأعماق... فتعطينا وضعه حتّى وهو في السّجن مثلا، وتوقانه إلى شمس الهواء، وتكشف عن لوعة الحبّ للأهل والأصدقاء ... وعن العشق الأكبر للوطن، الذي هو الارض"[17]:

يَـرْمِـيْـوْ أعـلـى كـل شَـايْـفَـةْ مِـنْ بُـرْجْ وَطُـوبَـانَـه
والـرّْجَـالْ عَـلَـى الـحَـرْبْ وَاقْـفَـةْ كَـالسّْبُـوعْ غَضْبَـانَـة
وَلّاتْ البَّـهْـجَـة كِـمَـا لَـجْـمَـرْ تَرْمِي المَوْتْ بِنَارْ شَاعْلَةْ

وحين نعود إلى كلام عبد الحميد بن باديس المتمثّل في رفضه القاطع في اندماج الجزئر مع فرنسا؛ طبعا ستكون المصيبة أشدّ لو يقاسمك العدوّ نعمة هذا الوطن:

حَسْبُنَا عْلَى مَزْغنّة (الجزائر) خَلْقْ كْثِيرْ يَبْقَى مَيِّتْ
فِـي لَـحْـفَـايِـرْ وَالـجَـبَّـانَـة شُبَّانْ للبْلَا تَتْفَاوْتْ
عَـلَـى مَـوَّالْـهَـا تَـتْـفَـانَـا يَبْقَى الدَّمْ غِيرْ مْقَلَّتْ
لَـكِـنْ بِـالـحُـزْنْ حْـزَنَّـا مِنْ بَعْدْ عِزّْهَا وَانْهَانَتْ
حَتَّى لِيْهُودْ فَـرْحُـوا لِـيـنَـا وَانْسَاهُمْ لَكْلَابْ تْزَغْرَتْ

والشّاهد في البيت الثّالث هو تسكين حرف العين من "شاعلة"، وهي لفظ غير مستعملة في الفصحى، وعلى وزن "فاعلة" ونفس الأمر مع لفظة "لحفاير" هي جمع باللّهجة للفظة "حفرة"، التي يقابلها بالفصحة "حُفَرٌ"، وكذلك نلاحظ تسكين حرف الحاء في لفظة "حزنا"، وتسكين حرف الدّال واللام والباء من لفظتي "ليهود" و"لكلاب"، مع أنّ الشّاعر استعملهما بدون الألف واللام أو ما يطلق عليها عند النّحويين بألف التعريف، وكذلك لفظة "لينا" هي لفظة عامّية ما يقابلها بالفصحى لفظة "لنا".

وبهذا الطّرح قد يتساءل أيّ قارئ أين نجد عنصر المقاومة من خلال هذه الأبيات، التي حاول قائلها أن يجسّد جوانب ممّا اتّصل بحوادث معينة في الجزائر، فنقول إنّ هذا التصوير والتجسيد هو نفسه المقاومة، لأنّ الشّاعر وهو في صدد وصف الحادثة

ونقل كلّ جزئية منها، فهو يلقي في أعماق المتلقي عن طريق القراءة أو الاستماع شحنات كهربائية إن صحّ القول، يبقى لها أثر راسخ في أعماق المتلقّي، سواء المتلقّي الأوّل أو حتّى الأجيال الصاعدة[18]. وهذا ما حدث في ثورة أوّل نوفمبر 1954، وحتّى الثّورات التي سبقتها.

فإذا كانت الأبيات السّالفة الذكر تتحدّث عن أسلوب المواجهة، وحدّدت كلّ الوسائل اللّازمة لذلك ونتائجها، فإنّ ما نجده "متناولا لانتفاضة الثّامن من ماي خمسة وأربعين تسعمائة وألف 1945م، قد جاوز ذلك بل أضاف إلى هذا المنظور الاقليمي الخارطي إلى مستوى الخارطة الافريقيّة، كما تحدّث عن مظاهرات كأسلوب من أساليب الثّورة، وكضرب من المقاومة المباشرة الرّافضة للوجود الاستعماري"[19].

قِصّةْ يَومْ سْطِيفْ مَعْناهَا مَازَالَتْ في القْلُوبْ مَكْمِيَّةْ
مْحَاييِنْ قَاوْيِينْ شَفْنَاهَا كِيتْهُمْ فِي اللِّيلْ مَقْدِيّةْ
قِصّةْ يَومْ سْطِيفْ مَرْوِيّةْ
ذَاكْ اليُومْ الحيف كان غزيرْ جَاتْ السَّاعة واتغلب غيومْ
جَابُوا خَبْرَهْ ذِي ايْشَارَتْ خَيْرْ هذا الغَاشِي للبلاد اطموم
تْلَمُّوا في بْلَاصَتْ الخِيرْ في نشيد وحرجْهُم مَقْيُومْ
من عَنْدْ النّخْلَة لْدَارْ المِيرْ والزّْعَامَة بَيْنَ، صْفُوفْ تْحُومْ
شُبّانْ صْغَارْ جَاوْ بالتفسير وعَبْدْ الباقي شَاطَرْ وَمَعْلُومْ
أيْلاقِي بِالشّرْخْ والتّنْذيرْ لاظُلْمْ بْقَا، ولَا بْقَا مَظْلُومْ
أعلات النجمة الافريقية

ما بلاحظ في هذه الأبيات هو الاستعمال لظاهرتي الإبدال والحذف؛ والإبدال في الاصطلاح اللغوي هو: "وضع حرف مكان حرف، وقد يكون الحرفان حرفي علّة نحو (خاف)، أصلها (خوف)، وقد يكونان صحيحين نحو (اصطبر) أصلها (اصتبر)، وقد يكونان مختلفين، نحو (اتصل) أصلها (اوتصل)"[20]. ومن أمثلة ذلك ما نجده في البيت الرّابع حين قال الشّاعر "جابوا"، ابدال (الهمزة) (باء) فنقول "جاءوا بخبره" بدلا من "جابوا خبره"، ... والألفاظ كثيرة، أمّا مع الحذف الذي يعتبر في الاصطلاح اللغوي: " إسقاط حرف أو كلمة...."[21]، الشّاهد من التعريف هو اسقاط الحرف، الذي نجده متمثّلا في لفظة "جات"، و"جاو"، فنقول "جاءت"، و"جاءوا" والألفاظ كثيرة التي خالفت القيّاس النّحوي، "ومن ثمّ صحّ اعتبار اللهجة وفي كثير من مفرداتها عبارة عن فصحى محرّفة، وهذا التحريف موزع على مستويات عدّة أهمّها: (القواعد، البنيات، والحركات، والحروف)"[22].

وممّا لا شكّ فيه أنّ اللّغة ماهي إلاّ أصوات ومفردات وجمل ونصوص، كلّها تستغلّ في التّفاهم والتّواصل بين أفراد المتكلمين بتلك اللّغة، بمعنى أنّها "أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم"[23]، بعبارة أخرى إنّ اللّغة هي الجانب العملي فعلا للّسان الذي هو عمليّة تصوريّة تصعب الاحاطة بها عند الاستعمال، "فاللّغة إذن هي المجال الذي تنكشف فيه القصديّة المقرونة بالتواصل بأعلى مظاهرها"[24]، ومن خلال الممارسة للمكونات المذكورة أعلاه يتّضح أنّ الأسلوب الأفضل في استغلالها، هو ما

يعبّر به عن المقصود بأسلوب لا يخلّ بغرض المتكّلم، ولا يجعل السّامع منتظرا لشيء آخر كالشّرح مثلاً، وأحسن ما يعبّر به عن هذا الأسلوب، هو النّصّ الذي يشتمل على جميع مكوّنات اللّغة المذكورة آنفا وأساليبها البلاغيّة.

وعليه فالنّصّ سواء أكان شعرا أو نثرا فما هو إلاّ وسيلة أو رسالة ناقلة للكلام أو الخبر عن طريق التداول والتواصل والأداء، "وقد يصل إلى درجة البرقيّة في الإيجاز والتركيز والإيحاء والاشارة والانتشار، "يا شاري ابره وخيط باش اتخيط فمك"، وقد يكون ملحمة عابرة للآفاق، متجاوزة للحواجز والحدود، تتناول بطولة الماضي لتحرك العاطفة المتأصّلة في إنسان هذه الديار، والتي جعلت هذا التراث كيانا ساريا في ذاته يتأثّر بأدنى حرف، أو ذرّة تمس، أو يعتدى عليها"[25].

6. خاتمة:

إنّ النّصّ الشّعري الجزائري سواء كان باللّغة الفصحى أو اللّهجة، كلاهما أدّيا رسالة الشّاعر في الحياة، فكانا خير وسيلة يعبّر بها الشاعر الجزائري عمّا يجول في خاطره إزّاء معظم ما يخص مقاومتنا الوطنيّة، فكان لهما أثر ووقع عظيمين في نفس المتلقّي على مرّ الأجيال، فمن خلال قصيدة "شعب الجزائر مسلم" يظهر التأثّر الشّديد لعبد الحميد بن باديس بمحيطه الاجتماعي من تخلف وجهل وخضوع، وتجلّى هذا في كلامه الفصيح من حيث الأساليب الانشائية والخبرية، لأنّ الكلام لا يكون إلاّ خبرا أو إنشاء، ففي أساليب الإنشاء الطلبيّة خاصّة الأوامر التي تعني تداوليا تلقّي السّامع مباشرة من المخاطب رغم أنّهم في الحقيقة ليسوا أمامه.

– الأسلوب الخبري الغالب على القصيدة هو الابتدائيّ، والأسلوبان الطلبيّ والإنكاريّ بدرجة أقل.

– الأسلوب الإنشائيّ الغالب في القصيدة هو الأمر في (تسع مناسبات)، وهذا لموضوعيّة كلام عبد الحميد ين باديس، التي جعلته متقبّلا من كلّ سامع عاقل يفهمها ويلحظها من سيّاق الكلام، ولعلم عبد الحميد بن باديس بأحوال ونفسيّة المخاطَبين في تلك الفترة، ومدى استعدادهم لتلقّي الخبر وقَبُولِهِ أو رفضه، وهذا ما يعبّر عنه ببلاغة الكلام، التي هي مطابقته لِما يقتضيه حالُ الخطاب مع فصاحة ألفاظه.

وما نخصّصه للّهجة دون الفصحة فقد صدق من قال، فإن أردت أن تعرف عواطف السّواد الأعظم من كلّ أمّة، وما هي عاداتهم التي يجرون عليها، وأفكارهم التي يفكّرون فيها، والمنازع التي ينزعون إليها، فعليك بأدبيّات العوام، فإنّها هي التي تمثّل حالتهم الاجتماعية تمثيلا صحيحا لا غبار عليه، **حيث هناك كثير من** الألفاظ التي خالفت القيّاس النّحوي، والتي غابت عن الاستعمال طوعا أو كرها، ومن ثمّ صحّ اعتبار اللّهجة وفي كثير من مفرداتها عبارة عن فصحى محرّفة، وهذا التحريف موزّع على مستويات عدّة أهمّها: (القواعد، البنيات، والحركات، والحروف).

7. قائمة المصادر والمراجع

- **الكتب:**

أ/ العربية:

1. ابن جني (أبي الفتح عثمان): الخصائص، ت محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج1، ط2، د ت.
2. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، معهد العلوم الجزائرية، الجزائر، ج3، ط2، 1977.
3. أحمد أبّا الصّافي جعفري: اللهجة التواتية الجزائرية، معجمها بلاغتها أمثالها حكمها وعيون أشعارها، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، 2014.
4. حنا الفاخوري: منتخبات الأدب العربي، المؤسسة البوليسية، بيروت، ط5، 1970.
5. راجي الأسمر: المعجم المفصل في علم الصرف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997.

6. العربي دحو: إطلالات مقارب للأدب الجزائري الحديث، دار الهدى، الجزائر، 2011.
7. محمد الطاهر اللادقي: المبسّط في علوم البلاغة، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ط2، 1963.
8. محمود قاسم: الإمام عبد الحميد بن باديس، دار المعارف، مصر، دت.

ب/الأطروحات:

9. شيتر رحيمة: تداولية النص الشعري، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2009.
10. مسعود جباري: الفكر السياسي عند الشيخ عبد الحميد ابن باديس، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2001.

8. قائمة الاحالات:

[1] ينظر: أحمد أبّا الصّافي جعفري: **اللهجة التواتية الجزائرية**، معجمها بلاغتها أمثالها حكمها وعيون أشعارها، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، 2014، ص21.

[*] وُلد الإمام عبد الحميد بن باديس في قسنطينة 1889م، تثقف على شيوخ عصره في بلده ثم انتقل إلى تونس أين واصل تعلمه في الزيتونة وتخرج بها، قضى حياته في إحياء اللغة العربية وتطهير الدين من البدع والخرافات، وأنشأ الصحافة الهادفة والمدارس الحرة العربية ... الخ، ويعد مؤسسا وأول رئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين هو ورفيق دربه الإمام البشير الإبراهيمي سنة 1931، توفِّيَ سنة 16 أفريل 1940م رحمه الله، من أهمِّ آثاره المطبوعة: تفسير ابن باديس، ومن هدي النبوّة، ورجال السلف ونساؤه ... الخ. نقلاً عن حنا الفاخوري: **منتخبات الأدب العربي**، المؤسسة البوليسية، بيروت، ط5، 1970، ص760 (بتصرف يسير).

[2] ينظر: مسعود جباري: **الفكر السياسي عند الشيخ عبد الحميد ابن باديس**، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2001، ص11 وما بعدها.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 17 وما بعدها.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص18.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص19 وما بعدها.

[6] المرجع نفسه، ص22.

[7] ينظر: المرجع نفسه، ص 24.

[8] ينظر: المرجع نفسه، ص 25.

[9] ينظر: المرجع نفسه، ص 27 وما بعدها.

[10] ينظر: المرجع نفسه، ص 31.

[11] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1930–1945**، معهد العلوم الجزائرية، الجزائر، ج3، ط2، 1977، ص277.

[12] ينظر: محمود قاسم: **الإمام عبد الحميد بن باديس**، دار المعارف، مصر، دت، ص31.

[13] اسم موصول بمعنى الذين.

[14] محمود قاسم: **الإمام عبد الحميد بن باديس**، ص78.

[15] المرجع نفسه، ص78.

[16] ينظر: محمد الطاهر اللادقي: **المبسّط في علوم البلاغة**، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ط2، 1963، ص37.

[17] بتصرف: العربي دحو: **إطلالات مقارب للأدب الجزائري الحديث**، دار الهدى، الجزائر، 2011، ص67.

[18] ينظر: المرجع نفسه، ص68.

[19] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[20] راجي الأسمر: **المعجم المفصل في علم الصرف**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997، ص19.

[21] ينظر: المرجع نفسه، ص215.

[22] أحمد أبّا الصّافي جعفري: **اللهجة التواتية الجزائرية**، ص21.

[23] ابن جني (أبي الفتح عثمان): **الخصائص**، ت محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج1، ط2، د ت، ص33.

[24] شيتر رحيمة: **تداولية النص الشعري**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2009، ص63.

[25] بتصرف: العربي دحو: **إطلالات مقارب للأدب الجزائري الحديث**، ص69-70.